

المخابرات فى صدر الإسلام



ازدادت حاجة المسلمين إلى الاستخبار منذ خرج النبى محمد ﷺ من مكة مهاجراً إلى المدينة يرافقه صاحبه «أبو بكر الصديق» .
وبعدها حدثت عدة عمليات منها :

* أخبار أيام الهجرة الأولى : فى الطريق إلى المدينة كمنّا فى غار حراء ثلاثة أيام .
وكان «عبدالله بن أبى بكر» يحمل لهما أخبار أحوال المسلمين والكفار فى مكة أولاً بأول .

* سرية «عبدالله بن جحش» : فى السنة الثانية للهجرة ، كلف النبى ﷺ «عبدالله بن جحش» ، برصد تحركات قريش ، ومعرفة أخبارهم إذا يروى أن رسول الله دفع إلى «ابن جحش» كتاباً أمره ألا يفتحه إلا بعد مسيرة يومين ، وينفذ ما فيه .

ولما فتح الكتاب فى حينه ، قرأ نصه : «إذا نظرت فى كتابى هذا ، فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشا ، وتعلم لنا من أخبارهم» .

أعلن «عبدالله بن جحش» محتوى الكتاب على رفاقه ، وساروا نحو غايتهم السامية فى مهمتهم الاستطلاعية لقوات المشركين ، والتقوا بثلاثة تخلفوا عن قافلة لقريش حتى يحصلوا على معلومات عن قوات المسلمين ، فاشتبك معهم «عبدالله بن جحش» ورجاله ، وقتل أحدهم ، واقتاد الآخرين إلى النبى ﷺ يستجوبهم .

* عيون على أبى سفيان : فى غزوة بدر الكبرى ، خرج ﷺ من المدينة ، وسار مع أصحابه حتى اقتربوا من «الصفراء» ، وبعث من يأتيه بأخبار «أبى سفيان بن حرب» ، وأخبرته العيون أن قريشاً سارت إلى أبى سفيان ليمنعوا إبله وتجارته حتى لا تقع فى أيدي المسلمين . وفى غزوة بدر أيضاً ، أرسل النبى ﷺ اثنين من المجاهدين للحصول على معلومات عن قوات المشركين ، فوجد أحدهما غلامين لقريش يستقيان من بئر بدر ، فأحضرهما إلى الرسول الكريم ، وسألهما عن عدد الجمال التى ينحرونها للجيش ، فأجابا بأنهم ينحرون يوماً تسعاً ويوماً عشرة . ومن ذلك أدرك عليه الصلاة والسلام أن عدد مقاتلى المشركين يتراوح بين

٩٠٠ - ١٠٠٠ ، لأن عادة العرب أن يخصصوا بعيرا لكل مائة رجل .

* **على بن أبى طالب فى مهمة :** عملية الترموية التى قام بها على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - ، لم تكن عملية المخابرات الأولى ولا هى الأخيرة ، إذ أن النبى عليه الصلاة والسلام أمره بعد موقعة أحد ، أن يقتفى أثر الكفار ويستطلع نواياهم ، فوجد أنهم جنبوا الخيل وامتطوا الإبل ، فعرف أنهم عائدون إلى مكة ، بعد أن مثلوا بكثير من قتلى المسلمين ، جدعت نساءهم الأنوف ، وقطعن الآذان ، واتخذن منها قلائد . وبقرت هند بنت عتبة بطن حمزة عم رسول الله . وأمر رسول الله بتغطية جثمان حمزة بيرده ، ثم صلى عليه وعلى القتل ٧٢ صلاة ، وأمر بدفنهم .

* **حيلة نعيم بن مسعود :** علم النبى أن قريشاً عبأت جيوشها و«بنى غطفان» ، وانشغلت بمحاولة استمالة قبيلتى «بنى قريظة» و «بنى أشجع» ، للتحالف معها والحنث بعهدهما للنبى ، توطئة لمهاجمة المسلمين فى «المدينة» بادر النبى فأمر بحفر خندق حول «يثرب» ، كان الأول من نوعه ، وكان مفاجأة أذهلت الكفار وعوقتهم عن مهاجمة المدينة . كما جعلتهم صيدا سهلا لسهام المسلمين ، وتحقق النصر للمسلمين ، خصوصا وأن أمل قريش فى استمالة غطفان وبنى أشجع إلى جانبهم قد خاب بفضل «نعيم بن مسعود» .. فماذا فعل؟؟ .

«نعيم بن مسعود» من وجهاء بنى غطفان . أسلم سرا ولم يشهر إسلامه بين قومه . ذهب إلى النبى محمد وأكد خبر محاولة قريش وبنى غطفان حض «بنى قريظة» و «بنى أشجع» على خيانة المسلمين والنكوص بعهدهم ؛ وقال «نعيم» إنه طوع أمر رسول الله ، فكلفه الرسول بإفساد مؤامرتهم بالحيلة إذا استطاع .

ذهب «نعيم» إلى «بنى قريظة» أعزل من أى سلاح إلا سلاح المكر والدهاء ، فأوقع بينهم وبين قريش وغطفان ، زرع فى نفوسهم الشك والارتباب ، وحذرهم من أنهم سوف يتخلون عنهم حين تدور الدوائر ، بعد أن يكونوا قد خسروا حلف المسلمين وحسن جوارهم ، وتأكيذا لصدق رأيه نصحهم بأن يطلبوا من قريش وغطفان رهناً من أشرفهم ، يظلون بأيديهم حتى يضمنوا صدقهم واستمرار نصرتهم .

تركهم «نعيم» بعد أن أقنعهم بحيلته ، وذهب إلى قريش وغطفان ، وأخبرهم أن بنى قريظة يضمرون لهم شراً ، وأنهم رافضون للحلف المعروض عليهم ، راغبون في استمرار تحالفهم مع المسلمين ، وقد أرسلوا إلى النبي يؤكدون وفاءهم بالعهد ، واستعدادهم لأخذ رجال من أشراف قريش وغطفان وتقديمهم ليضرب المسلمون أعناقهم .

أوفدت قريش وغطفان «عكرمة بن أبي جهل» في رهط منهم إلى «بنى قريظة» يستنفرهم للقتال ، فامتنعوا بحجة أنهم لا يقاتلون يوم السبت ، واشتروا إعطائهم رهناً من رجالهم يحتفظ بهم «بنو قريظة» ضماناً لعدم التخلي عن العهد إذا اشتدت الحنة . ورفضت قريش وغطفان شرط الرهن . واقتنعت كل الأطراف بضد «نعيم بن مسعود» ، ودب التخاذل في صفوف الأحزاب ، ثم كانت مفاجأة الخندق ، وتحقق نصر المسلمين .

ومما يذكر أن النبي ﷺ اعتمد في غزواته وغاراته على القوافل المكية على المعلومات التي كان يزوده بها أعوانه في مكة ، بينما لم يكن للكفار من يزودهم بأخبار المسلمين والأنصار في «المدينة» . وكان النبي ﷺ يوصي المسلمين بكتمان أسرارهم ، لعلهم يصيبون العدو على غير استعداد ، وينتصرون دون سفك دماء أو إزهاق أرواح ، كما حدث قبيل فتح مكة ، إذ صدر عن رسول الله ﷺ أمر كريم «أن يحفظ المسلمون أسرارهم ، ويضنوا بمخبات ضمائهم ، لعلهم يصيبون قريشاً على غير استعداد ، ويدخلون مكة من غير كيد أو عناد .. فلا يسفك في البلد الحرام دمًا ، ولا يزهق روحاً ، ولا يثير حرباً ، ولا يذكي ضرام عدا» *

* تقرير بشر الخزاعي : ومن نماذج تقارير رجال مخابرات جيش النبي ﷺ قول «بشر الخزاعي» لرسول الله ﷺ : «لقد دلفت إلى قريش أتسقط أسرارها ، وأتعرف أخبارها ، وما راعني إلا أن خبر مسيرك قد ترامى إليهم ، وحديث رؤياك قد هبط عليهم ، ولا أدري كيف وقع عليهم الخبر ، ولا كيف استنشقوا حديث الرؤيا .. إنهم يا رسول الله خرجوا ومعهم النياق بأولادها ، ولبسوا جلود النمر ، وعاهدوا أنفسهم ألا تدخل عليهم مكة أبداً . وهذا «خالد بن الوليد» ، وهو من يعدونه بهمتهم ، وفارس حلبتهم ، قد خرج يستقبلك بخيله ، ولعله الآن في «كراع الغميم» .